نظرية النخبة في الفكر السياسي الغربي المعاصر

أ.م.د عبير سهام مهدي(*)

ملخص البحث

تعد ظاهرة النخبة من اهم الموضوعات التي يعنى بها دارسو العلوم السياسية، اذ تشكل هذه الظاهرة محور نشاطات الجماعة السياسية، وبالرغم من تباين النظريات المتعلقة بتفسير وجود هذه الظاهره ونشأتها، فان هناك اتفاقا على ارتباط هذه الظاهرة بتوزيع القوة داخل المجتمع الانساني .

فبعد ان كانت هذه الكلمة (النخبه) تستخدم في القرن السابع عشر لوصف سلع ذات تفوق معين امتد استعمالها فيما بعد ليشمل الاشاره الى فئات اجتماعية متفوقة كالوحدات العسكرية الخاصة او الطبقات العليا من النبلاء .

وهي وان اتفق منظروها على ان المجتمع ينقسم الى اقلية حاكمة واغلبية محكومة ، ولكنهم اختلفوا في الاسس والعوامل التي تمكن الاقلية من احكام قبضتها على مراكز القوه .

المقدمة

تعد ظاهرة النخبة من الظواهر التي ارتبطت بالمجتمعات البشرية عبر التاريخ بكل مستوياتها وأنظمتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لتتميز هذه الأقلية العددية بمجموعة من الخصائص والصفات عن باقي إفراد المجتمع ، وتتصور الحياة العامة ، وتدير الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع لاعبة دور الزعامة والقيادة ، كي تؤثر في مسيرة المجتمع واحداثة ، وتطبعه بهويتها ورؤيتها الخاصة . [1]

فدراسة مفهوم النخبة ومعرفتها في أي مجتمع من المجتمعات ذات أهمية كبيرة ، لأنها تسهم في تفسير السلطة السياسية داخل الدولة ، أو داخل أي مجتمع سياسي لان هذه المجتمعات تنقسم إلى فئة حاكمة بيدها مقاليد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لتلعب دورا متقدما داخل المنظومة السياسية من خلال سيطرتها على صناعة القرار ، أو التأثير في صياغتها في ابسط الأحوال ، والى فئة محكومة تتأثر بقرارات الفئة الحاكمة .[2]

من هنا انطلقت فرضية بحثنا الموسوم بـ (نظرية النخبه في الفكر السياسي الغربي المعاصر)، من ان الفكر النخبوي يتميز باتجاهات متعددة ومتنوعة وهي وان اتفقت على ان النخبه جماعة معينة تحتكر القوة والنفوذ في المجتمع الا انها اختلفت حول الاسس والعوامل التي تمكنهم من احكام قبضتها على مراكز القوة .

وللبرهنه على فرضية البحث نطرح التساؤلات الاتية :

مالمقصود بالنخبه ؟ وهل اتفق منظروها على صياغة موحدة لتعريفها ؟ ماهي الشروط الواجب توافرها في النخبه ؟ ماهي اهم خصائصها ؟ وماهي ابرز اتجاهات التفكير النخبوي ؟

وفي ضوء التساؤلات التي تم طرحها في فرضية البحث فقد تم تقسيم الموضوع الى اربعة مباحث فضلا عن المقدمة والخاتمة .

تناولنا في المبحث الاول : اطار نظري لمفهوم النخبة وخصائصها ، اما المبحث الثاني : النخب في بعض المجتمعات والحضارات ،اما المبحث الثالث : فقد كرس لمناقشة انواع النخب ، والاخير تناولنا فيه الاتجاهات الرئيسة في التفكير النخبوي.

المبحث الاول: اطار نظري لمفهوم النخبة وخصائصها

خضع مفهوم النخبة لصعوبات مفاهيمية عدة ، نتيجة تعدد الرؤى والمقاربات التي تناولت تعريف هذا المفهوم ، من عصر الفلاسفة والعلماء التقليدين أمثال أفلاطون الذي أشار إليها عندما تحدث عن طبقة الحكماء ، إلى مفكري العصر الحديث ، لتأخذ دراسة النخبة في العصر الحديث موقعا رئيسا في علم الاجتماع السياسي على وجه الخصوص ، واعتبرت الدراسات التي أسسها الباحثون السياسيون الغربيون أمثال (موسكا) و (باريتو) و(لازويل) و (بنتام) الأطر النظرية والمنهجية لكثير من الدراسات البحثية التي تناولت موضوع النخبة والنخبة السياسية خاصة .[1]

أشارت دراسات النخبة بان أصل المفهوم ليس عربيا ، وكما أشرت سابقا بان الباحثين الغربيين هم من ركزوا في دراستهم على النخبة ونظرياتها في تفسير كل الجوانب التي تتعلق بالنخبة ، فمفهوم النخبة (elite) اشتق من الفعل اللاتيني (eligere) وتعني (يختار) ، أي العنصر المختار أو المنقول من ثقافة ما والإفراد الذين يشغلون مناصب عليا ، ففي البداية أشار المفهوم إلى السلع وجودتها ، وفي العصر الحديث تغيرت دلالات المصطلح عندما استخدم في العلوم الاجتماعية ، فأصبح يشير إلى السمو ورفعة المكانة في السلم الاجتماعي مثل كبار العسكريين والنبلاء ، ومن هنا أصبح مفهوم النخبة بشكل عام يشير إلى جماعة من الناس تحتل مكانا مميزا في المجتمع .[2]

إما التعريف اللغوي للمفهوم كما استخدمه الباحثون العرب في المعاجم العربية فهو مصطلح مترجم ، ومرادف لمصطلح الصفوة ، فمعجم لسان العرب لابن منظور ، يرجع كلمة النخبة إلى : انتخب الشئ في اللغة العربية ، أي : اختاره ، والنخبة : ما اختاره منة ، ونخبة القوم ونخبتهم خيارهم ، ويقال هم نخبة القوم (بضم النون وفتح الخاء) وإذا قيل جاء في نخب أصحابة ، أي : خيارهم .[3]

وتعني كلمة النخبة لغويا أيضا (الخلاصة) أي :كل ما صفا منة وخلص ، مثل صفوة الناس ، وصفوة القول ، ويقال : اصطفاه أي اختاره .[4]

إما معجم المصطلحات السياسية والدولية فقد أشار إلى إن (elite) يقابلها بالعربية الصفوه أي : علية القوم ، أي أنهم أقلية ذات نفوذ تحكم الأغلبية ويكتسب الانتساب إلى الصفوه بالوراثة ، أي الذين ينتسبون إلى طبقات صاحبة الامتياز ويتمتعون بنفس المركز منذ الميلاد لتلعب هذه الصفوة دورا قياديا ، وسياسيا لإدارة جماعاتهم من خلال الاعتراف التلقائي بهم بصفتهم صفوه .[1]

وفي التعريف الاصطلاحي تدل كلمة النخبة على الشئ الأفضل الذي يستحق إن يقع علية الاختيار والأفضلية ، وتدل كذلك على الفئات الأكثر ثقافة في المجتمع ، والأكثر قدرة على إدارة هذا المجتمع وخدمته .[2]

والصفوة تعبر عن الامتياز والقيادة في المجتمع ، وارتبط هذا المفهوم سياسيا بمصطلح الارستقراطية وقوة الفرد وقدرته ضمن التسلسل التاريخي ، في حين استخدمت النظريات الاشتراكية مصطلح (طليعة) مرادفا لكلمة (النخبة) ويدل على انتماء القيادات إلى الطبقات الكادحة وتحققها لأهدافها من خلال نضالها في صفوف الجماهير .[3]

ولو عدنا إلى مفكري النخبة الغربيين لوجدناهم قد تناولوا تعريف النخبة من عدة مداخل :

فـ (باريتو) – عالم الاجتماع الايطالي – تناول تعريف النخبة من مدخل سيكولوجي ذاكرا بأنها : (فئة الأقلية التي تتمتع بخصائص نفسية وسيكولوجية مرتبطة بعوامل وراثية ، يمنحها التميز عن باقي فئات المجتمع والأهلية والقدرة على استلام مناصب سياسية في المجتمع ، لان المجتمع بشكل عام لايستطيع إن يحكم نفسه بنفسه ديمقراطيا لذا لابد من وجود طبقة تحكم المجتمع) .[4]

(وموسكا) _ عالم السياسة الايطالي _ اعتبر النخبة هي أقلية حاكمة تلعب أدورا أساسية وتحتكر القوة والموارد في المجتمع، فـ (موسكا) أكد على وجوب امتلاك الأقلية الحاكمة للقوة وتمتعها بامتيازاتها ليسهل عليها تأدية جميع الوظائف السياسية استناداً إلى شرعية قانونية تسهل عليها الاستمرار في الحكم ، ويرى (موسكا) إن سبب تفوق الأقلية على الأكثرية يعود إلى قلة عددها وتنظيمها مقابل أكثرية الثانية وعدم تنظيمها، فالمدخل الذي تناول فيه (موسكا) النخبة هو القدرة التنظيمية.[5]

وأشار (لاسويل) إلى أنها تمثل الأعضاء الذين يمارسون القوة العظمى في إطار الجماعة، أو منظمة اجتماعية، أو مجتمع ويمتلكون القوة لتحديد قيم الجماعات وأهميتها لغير النخبة، وان النخبة السياسية تضم المتمتعين بالقوة في النظام السياسي ومنهم تبرز القيادات والأطر الاجتماعية التي تبرز منها القيادة، وبهذا التعريف يشير(لاسويل) إلى إن النخبة السياسية هي التي تمتلك القوة فهي(طبقة قمة القوة) التي تلعب دورا أساسيا في صناعة القرار السياسي.[1]

ويرى(روبرت ميشيلز)- عالم الاجتماع الألماني- بأنه لابد من وجود أقلية حاكمة وأكثرية محكومة في المجتمعات الإنسانية، مستخدماً لذلك كلمة(الاوليغارشية) (أي الأقلية) بدلاً من كلمة (Elite) مؤكداً على حتمية وجود النخبة في أي مجتمع واعتبرها ضرورية لقيادة المؤسسات الحزبية والمؤسسات الكبرى بما فيها الدولة، نظراً لحاجة هذه المؤسسات إلى الكفاءة والتخصص والتنظيم التي لاتتوافر إلا في عدد قليل من الأشخاص وهم النخبة، بعدما توصل إلى القانون الحديدي للاوليغارشية لان طبيعة تعقيدات عمليات الإدارة في المؤسسات الحديثة تتطلب إن يقوم على إدارتها جماعة تتمتع بمواصفات لاتتوافر إلا لدى أقلية في المجتمع ، ويتضمن القانون الحديدي معنى قدرة النخبة على إعادة إنتاج الواقع بما يضمن استمرار تميزها.[2]

واعتبر(جيمس بيرنهام) أنها الطبقة التي تسيطر على أدوات الإنتاج وتتحكم في آليات توزيعه، لتحافظ على مكانتها في قيادة المجتمع لتستحوذ على القوة والامتيازات في المجتمع.[3]

إما(روبرت دال) فيعرف النخبة :(أنها جماعة أقلية في عددها وحجمها مسيطرة على الأغلبية حتى لو مثلت هذه الأغلبية اتجاهاً معارضاً).[4]

إن تبرير وجود النخبة يستند على أمرين أساسيين هما:[5]

أ- إن المجتمعات لايمكن لها إن تقاد وتحكم من خلال شخص واحد، إذ مهما بلغت إمكانات هذا الشخص فأنه سيبقى عاجزاً عن السيطرة داخل مجتمعه دون وجود طبقة تعمل على فرض احترام اومره وتنفيذها وان حاول الاستغناء عنها فأنه سيستبق ذلك بتأمين بديل لها يقوم بنفس مهامها.

ب- إن الجماهير غير قادرة على حكم نفسها بنفسها لأنها أغلبية، فهي تبقى عاجزة عن تنظيم نفسها والتحكم بدرجة تماسك تؤهلها لحكم نفسها، الأمر الذي لايوجد في الأقلية التي تستطيع بتلاحمها وتنظيمها قيادة الأغلبية، وذلك لكونها تتمتع بصفة الأقلية التي تسهل تنظيمها إضافة إلى تمتعها بمميزات السلطة والقوة والنفوذ. ويكون وجود النخبة وفقاً لذلك مظهراً تشترك فيه معظم المجتمعات والنظم السياسية.

وانطلاقاً من الحقيقة القائلة بانقسام المجتمع إلى مجموعة من المجالات الحياتية المجسدة للنشاط البشري اقتصاديا، ثقافياً، اجتماعياً، سياسياً وغيرها من المجالات الأخرى، فان من المسلم به وجود نخبة مؤهلة بأفضل العناصر التي تمكنها من صياغة التفاعلات المتعلقة في إطار هذه المجالات، وبغض النظر عن سلبية أو ايجابية هذه النخبة في تحقيق أهداف الفئة المحكومة، فأن جماهير هذه الفئة من المجتمع ليس إمامها سوى الخضوع لهذه النخب الأكثر فاعلية وقدرة على أداء وصياغة التفاعلات الحاصلة في أطار المجتمع ككل في مجالاته المختلفة سواء أكانت اقتصادية، اجتماعية، سياسية أو غيرها.[1]

وقد طرأ حديثا عدة تغيرات على مفهوم النخبة ، فلقد اتسع المفهوم اتساعا كبيرا إذ لم يعد يقتصر على النخب السياسية فقط ، وإنما أصبح يضم فئات كثيرة وكبيرة وذلك جاء على أيدي السلوكيين وعلى رأسهم (روبرت دال) إذ كانوا يرفضون مفهوم النخبة رفضا نظريا ومنهجيا لأنه يفترض إن القوة توزع في المجتمع توزيعا صفريا، إذ تمتلك جماعة واحدة كل القوة مقابل حرمان بقية الجماعات منها .لقد فسحت الصياغات النظرية المحدثة لمفهوم (النخب المتعدد) الذي يفترض إن القوة موزعة على كل الجماعات دون إن تحتكرها جماعة واحدة .[2]

وقد اتضح مفهوم النخب المتعدد بشكل جلي في دراسة (سوزان كلير) المنشورة عام 1963 والتي افترضت فيها وجود نخب إستراتيجية في ميادين الحياة المختلفة في الاقتصاد والسياسة والثقافة والمجتمع المدني ، ولكل واحدة من هذه النخب وظيفة في ميدان وجودها ، فلقد أصبح بمقدورنا ألان إن نتحدث نخب ثقافية ونخب اجتماعية تعمل في نطاق المجتمع المدني وفي الميدان الثقافي دون إن تصل إلى سدة الحكم.[1]

وفي ضوء ذلك فان التعريفات الحديثة لمفهوم النخبة لاتميل إلى التركيز على الإفراد الذين يشغلون مواقع داخل هذه النخبة وإنما تميل إلى التركيز على قضية السيطرة على زمام القوة سواء في المجال السياسي العام (النخبة السياسية) أو في المجالات الخاصة (النخب الاجتماعية والثقافية والإدارية) . فلم يعد لمفهوم النخبة كجماعة متميزة تتربع على قمة المؤسسات السياسية والاجتماعية قيمة في حد ذاته . إنما يستمد المفهوم قيمته من كون النخبة جماعة اجتماعية تمتلك وعيا اجتماعيا وقدرة على التماسك الداخلي لها علاقات بالطبقات التي تشكل المجتمع أو أنها تشير إلى الإفراد أو الجماعات التي تمتلك القوة وتمارسها . وهكذا فان مفهوم النخبة يمكن إن ينطبق على أولئك الذين (يتولون الصفوف الأولى أي نوع من أنواع النشاط الاجتماعي) . هذا من جانب ، ومن جانب اخر يدل الواقع المجتمعي الإنساني على تميز قلة من الإفراد في مختلف الميادين فنجد أشخاص لهم مميزات وقدرات تختلف عن باقي الإفراد ترفعهم إلى مرتبة خاصة مما يمكنهم من لعب دور فعال داخل المجتمع له تأثير على تجديد أو تكريس قيم المجتمع ، فهذه المجموعة من الإفراد أو النخبة قد تكون لها قدرات ذات طبيعة ثقافية أو دينية أو علمية متميزة فتكون بذلك إما نخبة ثقافية أو نخبة اقتصادية أو نخبة دينية وغيرها .

وما يميز النخبة في هذا الصدد مجموعة من الخصائص والمميزات لعل أبرزها مايلي :[2]

1 – قلة العدد نسبيا بعدهم الصفوه ومن ثم فهي متجانسة متحدة وواعية وتتميز بخاصية الحفاظ على ذاتها .

2 – التمتع بمكانة اجتماعية مرموقة (السياسيون ورجال الدين والمثقفون ورجال الإعمال).

3 – الإمساك بمصادر القوة السياسية (النخبة السياسية) ولها دور فاعل في صناعة السياسة وتنفيذها ماتتضمنة من برامج .

4 – القدرة على صنع القرارات .

5 – توجيه المواطنين إلى القيم الاجتماعية التي تؤمن بها .

6 – التأثير في العقيدة من خلال الدعاة أو النخبة الدينية .

7 - تشكل عناصرها وتؤيدها لتولي المناصب المهمة في المجتمع (مقاليد السلطة) .

8 – الاستقلالية بمعنى أنها لاتسأل عن أفعالها من أي طرف أخر فهي وحدها تتولى حسم القضايا وحل المشكلات حسب مصالحها وتصوراتها .

من خلال ماتقدم نجد ان منظرو النخبه عدو انقسام المجتمع الى اقلية حاكمة واغلبية محكومة حتمية تاريخية ، على اعتبار ان الفاعل الحقيقي في التاريخ هو النخب ، وان من يحدد مسار الصراع في المجتمع هو الصراع بين الاقليات السائدة الذي تتجلى رهاناته في السعي الى

التحكم في المواقع القيادية الاستراتيجية داخل المجتمع ، وما يرتبط بها من امتيازات ووسائل الهيمنه والسيطره على موارد وامكانات السلطة ورموزها .

المبحث الثاني: النخب في بعض المجتمعات والحضارات

لم تخل أية حضارة ولا مجتمع من نخب متميزة، تمارس تأثيرها على هذه المجتمعات بشكل أو بأخر. فمن المتعارف علية إن الثقافة والحضارة اليونانية القديمة قد أفرزت أكثر النخب المفكرة شهرة في التاريخ وهم فلاسفتها الذين صاغوا الحياة فيها وصبغوها بأفكارهم ونهجوا للاختلافات المذهبية والتنظيمية في شكل نظريات والتي امتد تأثيرها عبر القرون إلى إن وصل إلى واقعنا اليوم .و لم يتفق العلماء على تاريخ ونشأة مفهوم النخبة وان اتفقوا على إن مفهوم النخبة ضارب في القدم واستندوا في ذلك على تصميم الفيلسوف أفلاطون على أهمية إن تقود المجتمع فئة من النابهين رآهم في الفلاسفة ، إذ كان أفلاطون يرى إن أول مهمة للفيلسوف هي: إضفاء صفة العلم على الأخلاق والسياسة وهو في هذا الصدد يرى إن النخبة لابد لها من تنشئة دقيقة تتحمل الدولة تكاليفها والواقع إن المقصود بالنخبة عند أفلاطون هي النخبة السياسية التي تمتلك معرفة العلم السياسي الذي لا علم بعدة عنده أنة علم الحق والخير أي أنة العقل المستنير.[1]

وقرن سقراط بين النخبة والعلم فقد رأى ضرورة ان تحكم الدولة من قبل العلماء والحكماء لان الحكم الصحيح هو الذي يكون مصدره العلم والمعرفة وليس الاقتراع. فالدولة التي تقوم على الاقتراع تتيح للجهلة الصعود والارتقاء ويستوي فيها الجاهل والعالم،((فالسياسي الصالح ليس الشخص الذي يفوز في الانتخابات أو يسعده الحظ لكسب القرعة وإنما هو ذلك الحكيم العاقل الذي يشع نور حكمته ومعرفته عدلاً بين مواطنيه)).[1] إما أرسطو فقد اعتقد بأنه لامناص من وجود فئة حاكمة وأخرى محكومة فالأعلى منزلة يجب إن يحكم فهو يرى ضرورة تولي الصفوة أو النخبة الحكم التي تتميز عن باقي الناس الذين يعدون هم القانون وان كان وجودها يعد من الحدث النادر.[2] وإذا كان كل من هولاء الثلاثة قد تحدث عن حكم النخبة فهناك من كان يرى عدم حاجة المجتمع إليها فالرواقيون وقبلهم الكلبيون رأوا عدم حاجة المجتمع المكون من أناس عقلاء إلى إيه أنظمة أو مؤسسات ولافرق بين الناس بين غني وفقير الفروق فقط تكون بين العقلاء والحمقى، قالت الفلسفة الرواقية بالمساواة بين الناس طبيعياً رغم اختلافهم في الجنس والرتبة والثروة ودعت لفكرة إخوة إنسانية عالمية متحدة في ظل عدل يتسع لشملهم جميعاً.[3]

كما أكد العلماء على إن النخب كانت موجودة في المجتمعات فهناك الكهنة المصريون والذين إلى جانب الملوك كانوا يمثلون صفوة المجتمع المصري باعتبارهم نوابا موفدين من قبل الملوك للمحافظة على الإلهة في المعابد .. وهكذا كان الأمر في المجتمعات القديمة إذ كان رجال الدين يمثلون نخبة المجتمع إلى جانب الأمراء والحكام .[4]

وفي الصين شكل (رجال العلم) لفترات طويلة طبقة موجهة للحياة حصلت كما يقول (ماكس فيبر) عن ثقافة (للرجل العادي المهذب).[5] ولم تكن هذه الفئة وراثية منغلقة ، إذ إن الدخول إليها كان يتم عن طريق امتحانات تنافسية عامة وقد شكل العامة الذين يصلون إلى هذه النخبة في الفترة الممتدة مابين1600 و 1900 نسبة 30 % وقد نشأ في الهند وضع مشابه لحالة الصين .

إما أصول المفكرين الحديثين في المجتمعات الأوربية فهي جامعات أوربا في العصور الوسطى التي كونت طبقة فكرية ليست سلكا كهنوتيا منغلقا ، يأتي أعضائها من أوساط مختلفة غير مرتبطة بالطبقات الحاكمة للمجتمع الإقطاعي وقد أنتجت هذه الطبقة الفكرية مفكري عصر النهضة.[6] ومفكري عصر الأنوار الذين لايجهل وضعهم ودورهم في تفجير الحضارة الأوربية المعاصرة ، ولا في صياغة المجتمعات الغربية الحديثة ولم يكن الأمر مقتصرا على النخب الفكرية

فقط ، بل ظهرت نخب أخرى كالنخبة الصناعية والنخب العسكرية وغيرها ، ولكن التركيز غالبا مايكون على النخب الفكرية بشكل اكبر .

إما النخب في المجتمع العربي فقد كانت في العصر الجاهلي متمحورة حول طبقة الشعراء والخطباء والحكماء ، وهي فئات مفتوحة اجتماعيا لاتوارث فيها ولا احتكار ومعروف مدى تأثير هذه الفئة في توجيه الحياة في مجتمعاتها . وبعد الإسلام يمكن تمييز مجموعة النخب وعلى رأسها علماء الدين من الفقهاء والمحدثين والمجتهدين والمفسرين ومن القادة العسكريين والطبقات الحاكمة .[1]

وكذا يمكننا القول بان ، ظاهرة النخبة ظاهرة ارتبطت بالإنسان منذ بدأ الخليقة وان اختلفت صورها ونوعية النخبة نفسها فهي مرتبطة بسياق زماني وسياق مكاني يحددان نوعها ودورها.

المبحث الثالث: انواع النخب

يعد المفكر(ماكس فيبر) من أوائل من وضعوا تصنيفاً عملياً لأنماط وإشكال السلطة المختلفة، ولكن مع حدوث تغييرات مختلفة اجتماعية واقتصادية، كما اتجهت الدراسات الحديثة إلى إيجاد تصنيفات لمختلف القوى السياسية مركزة في ذلك على عامل النفوذ، وقد تباين المفكرين في تحديد أنواع النخب، نظراً لاختلاف الميادين والمجالات من زاوية، وتباين طبيعة ودرجة تأثير كل فئة من زاوية أخرى، ولكن على العموم يمكن رصد التصنيف التالي الذي يعد أكثر شمولية في تحديده لأنواع النخب:

1-النخبة السياسية: يمكن تعريف النخبة السياسية بأنها مجموعة من الإفراد تحتل مركزاً متميزاً ضمن مختلف النخب الأخرى باحتسابها تملك القدرة والقوة داخل النظام السياسي، وتهتم بشكل محوري في صناعة وهندسة مختلف القرارات الأساسية والحاسمة، وكذلك التأثير على مختلف النخب الأخرى بدرجات متفاوتة.[2] ينظر إلى النخبة السياسية (political elite) عادة بدلالة (الفئة الحاكمة)[3] ، ويرتبط وجودها في تحليل إلية عمل النظام السياسي من خلال فهم علاقة السلطة بالمجتمع أو بشكل أخر علاقة القوة بين الحكام والمحكومين.[4]

بشكل عام لم يتم وضع تعريف موحد جامع ومانع لمفهوم النخبة السياسية ولكن ثمة مشتركات تم ذكرها في التعريفات الرئيسة التي تناولت هذا المفهوم تظهرها أراء المختصين من العلماء الذين درسوا هذا المفهوم وبدا من خلال كتاباتهم إن النخبة السياسية هي: المجموعة الحاكمة التي تتمتع بإمكانيات فكرية وإبداعية على تسير الشؤون السياسية أكثر من غيرها من إفراد المجتمع وتأخذ إشكالا متعددة حسب التفسيرات التي قامت على أساسها انطلاقاً من الحالة الاقتصادية أو الاجتماعية أو التنظيمية أو التمثيلية لهذه المجموعات، وتخضع هذه النخبة لقانون التغيير والتبدل وفقاً لمقتضيات التطور الذي تمر به مجتمعاتها على أساس دورة انتقالية و يتم من خلالها استبدال نخب وإحلال نخب جديدة وفقاً لأليه يكون الهدف منها تحقيق التوازن الاجتماعي بمفهومه الشامل والمحتوي للواقع السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، التنظيمي وغيرها للمجتمع، إن النقطة الجوهرية في تعريف النخبة السياسية هو أنها أقلية من أبناء المجتمع متمتعة بصفات ايجابية تمكنها من تحقيق حد أدنى من الثبات والتماسك الذي يؤهلها لاستلام صولجان الحكم والاتجاه نحو تحقيق أهدافها الأساسية.[1]

إن حركة النخبة الدائبة نحو تجميع القوى المجتمعية وتحركيها باتجاه معين في السلوك السياسي الذي يخدم مصالحها لايتم إلا من خلال إيجاد إليه منطقية تبرر ذلك، مستندة على مجموعة متفاعلة من التقاليد الاجتماعية وحتى الأساطير والمصالح والقوانين السياسية بين البنى السياسية المختلفة،[2] وهي بذلك تمثل المجموعة التي تصنع وتشكل السياسة التي تؤمن بها الجماهير لمواجهة المشكلات العامة وتحقيق الأهداف المتمثلة في حلها.[3]

وبذلك تكون النخبة السياسية هي النخبة(القائدة) و(المخططة) لحركة المجتمع ومؤسساته الرئيسة (الدولة) بكل هياكلها ومسمياتها الفرعية.

إن هذا التباين في التعريفات المتعددة لمفهوم النخبة السياسية يشير إلى الصعوبات التي ينطوي عليها هذا المفهوم، ولكن يميل بعض الباحثين إلى تعريف النخبة إجرائيا اعتمادا على أربعة عناصر:

أ-وجود مجموعة متميزة تمتلك من الخصائص والصفات مايميزها عن الآخرين.

ب-النخبة ظاهرة جماعية إذ لايطلق المصطلح على شخص واحد وإنما على مجموعة من الأشخاص.

ج- امتلاك هذه المجموعة لقدرات مميزة تمكنها من صنع القرار والتأثير على الآخرين.

د-إن النخبة مفهوم نسبي ويقصد بذلك إن النخبة تمارس تأثيرها ونفوذها في مجال معين تتمتع فيه بميزة نسبية وبقدرة اكبر من التأثير والنفوذ.

على إن هناك من يرى بان هناك فرق أساسي بين النخبة السياسية وباقي أنواع النخب والذي يكمن في كون النخبة السياسية تتمتع بمجموعة من الصلاحيات تجعلها هي المقررة الأولى للمجتمع بحيث تختار له توجهاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية أحيانا مما يجعل سلطاتها واسعة وتأثيرها غير محدود ، إما النخب الأخرى فأنها تمارس نفوذها وسلطتها داخل مجالاتها الخاصة دون إن تستطيع التأثير على التوجهات السياسية بشكل قوي وفعال ، ومن هذا المنطلق فالنخبة السياسية تحتل مركزا متميزا ضمن قائمة مختلف النخب الأخرى بعدها تمتلك القوة والقدرة داخل النظام السياسي للدولة وتسهم بشكل محوري في صناعة القرارات .

2- النخبة العسكرية: يقوى هذا النوع من النخب في البلاد الدائمة للصراعات مع جيرانها أو فيما بين شعوبها، وتأتي إلى السلطة غالباً بعد انقلاب عسكري لإنقاذ الدولة حسب قولها، أو تبعاً لتطور تاريخي طبيعي من عامة الناس يثقون بإبطال الحرب- يمكن أخذ النخب العسكرية في دولتي الجزائر وإسرائيل مثلاً- على أنهم خير حاميين لهم من مخاطر الخارج.

مثال/ الدولة التركية الحديثة عام 1923 كانت ذات نظام عسكري بامتياز وهي التي اختارت عسكريا (مصطفى كمال أتاتورك) قائد حرب التحرير الوطنية1920-1923 ليحكمها للعام 1938 تبعه عسكريا أخر هو رفيق دربه (عصمت أينونو) إلى العام 1950 حين تحول النظام السياسي التركي إلى نظام تعددي مدني الشكل كان ينتهي إلى انقلاب عسكري.[1]

3-النخبة العائلية: لهذا النوع من النخب وجود كبير في الدول التي تكونت على أساس قبلي وأنشأت أنظمة ملكية تشبهها من حيث التركيبة السلطوي(زعيم القبيلة أو العائلة هو الحاكم المطلق كلملك تماماً) أو من حيث الوراثة في السلطة(الابن الأكبر سنا يخلف والده) والمثال على ذلك دول الخليج العربي مثلا كالسعودية، والبحرين، وقطر، والكويت، والإمارات هي محكومة من نخب عائلية، هذه العائلات تمكنت إما بسبب تحالفاتها مع الخارج وإما بسبب حروبها في مطلع القرن الماضي كالحالة(السعودية) وإما بسبب أماكاناتها المعرفية والمادية من السيطرة على بقعة من الأرض تحولت إلى دولة ملكية لاحقاً ففي هذه الأنظمة الملكية للملك الكلمة الفصل والسلطة الأبوية على الشعب- الرعية- وخصوصية توزيع المناصب في الدولة ومؤسساتها على إفراد العائلة الحاكمة ونخبة من المنتفعين في حين لا إمكانية لولوج السلطة في هذه الأنظمة إلا من خلال العائلة ذاتها أو عبر نسج شبكة من العلاقات النفعية الخاضعة لها.[1]

4- النخب الدينية: تقوى قوى النخب الدينية بقدر مايقوى إيمان الإفراد الديني وتدينهم كما بقدر مايفرض النظام السياسي التوجيه الديني العام بمنحى معين فيكبر دور نخبة رجال الدين في السلطة والمجتمع ففي الأنظمة ذات الصبغة الدينية الواضحة لرجال الدين تأثير كبير يجعلهم مالكي السلطة الزمنية وكذلك الروحية.

ففي الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي قامت على اثر ثورة إسلامية قادها رجل دين حكمت النخبة الدينية منذ انتصارها من العام 1979 إلى يومنا هذا بالتعاون مع مدنيين ملحقين بها، وكانت كل إشكال السلطة ومؤسساتها (مجلس تشخيص مصلحة النظام، مجلس الشورى) مستمدة من التأثير الفكري لنظرية قائد الثورة(الإمام الخميني) في كتابه الذي وضعه عام 1969 والمدعو (الحكومة الإسلامية) الذي يعد اللبنة النظرية الأساسية في بناء النظام السياسي ومؤسساته في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إما وان وجدت في الجمهورية الإسلامية الإيرانية عدة إشكال من النخب السياسية (حزبيين، أو معارضين تقليديين) إلا أنهم كانوا ملحقين بشخص القائد الروحي الأعلى الممثل بمرشد الجمهورية، من ناحية أخرى في هذه الأنظمة المحكومة من النخب الدينية فأن إمكانية بلوغ السلطة من أي احد من خارج النخب اوغير موافق عليه منها أمر شبه مستحيل.[2]

5- النخب الإدارية: تتكون هذه النخبة من مجموعة من الأشخاص الذين يحتلون أهم المواقع الرسمية داخل المؤسسات الإدارية المحلية التابعة للدولة.

أن النخبة الإدارية تشكل عنصراً مهماً لايمكن تجاهله في دراسة بناء السلطان المحلي وذلك لسببين:[3]

-إن النخبة الإدارية جزء من الواقع المجتمعي المحلي، ولها وجود قوي على جميع الأصعدة المحلية.

-إن أدوارها لاتنحصر في تنفيذ قرارات الإدارة المركزية كما يعتقد البعض فهي تتمتع بهامش مهم من الحرية والاستقلالية يمكنها من القيام بادوار مستقلة في كثير من الأحيان.

ويمكن تقسيم هذه النخبة إلى فئتين رئيسيتين:[1]

-فئة المسئولين الإداريين أي فئة الأطر الإدارية.

-فئة أعوان السلطة.

6-النخب الاقتصادية والمالية والإعلامية: لهذه النخب دور كبير في الأنظمة السياسية الليبرالية والنيوليبرالية المعاصرة بما لدور الحريات العامة المفترضة من مكانة فيها كما لأهمية دور التأثير بالرأي العام عامة المنتج للسلطة والنخب الحاكمة غالبا ما تتماهى هذه النخب الثلاث مع بعضها البعض خاصة حين تكون النخبة الاقتصادية المؤثرة مهتمة بعالم السياسية فتنشأ محطات إعلامية على أنواعها لتأليب الرأي العام لصالحها نخبة إعلامية تعمل لخدمتها.[2]

في الولايات المتحدة الأمريكية للنخب الاقتصادية تأثير كبير كونها تمتلك القدرة المالية للتأثير في الاقتصاد وتوجهاته العامة كذلك بامتلاكها لمؤسسات إعلامية ضخمة تكون مروج لطريقة أو بأخرى لأفكارها وتعمل لخدمة مصالحها في أغلب الأحيان، في حين تبقى بعض المناصب القيادية المؤثرة في الدولة موكلة لرجال الإعمال والإعلام بما لخبرتهم وكفاءتهم والذي يساعدهم على توليهم مراكز للسلطة إما إمكانية دخول السلطة الرئاسية مثلا من قبل العامة فمحدود لسبب تركيبة النظام الانتخابي الأمريكي نفسه بينما يكون المرشحان الأساسيان من النخبة نفسها وان اختلفا في انتماءاتهم الحزبية.[3] أي مجتمع هي المجموعة المشتغلة بالثقافة والعلم والحاملة للمشاريع الفكرية والمعرفية لذلك المجتمع ، بوصفها النواة والعقل المفكر لذلك المجتمع ، وعادة ماتكون هذه النخبة هي المسؤولة عن التخطيط للمستقبل واستشرافه من خلال وضع الاستراتيجيات المناسبة لضمان تطوره ، وخلق الوعي بين إفراده بما ينبغي القيام به من اجل التحكم في مصائرهم من خلال الانخراط السليم في المشاريع المجتمعية باعتبار النخبة المثقفة هي حاملة المشاريع الحضارية للشعوب والأمم لما تملكه من تصور وفهم للواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه ، ورؤية عميقة للعالم.[4]

انبثق مفهوم المثقفون من الصراعات والتناقضات التي شهدتها أوربا، والتي قوضت الأسس السياسية للمجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر ولتدليل على ذلك لعبت النخبة الفكرية دورا هاما في تاريخ فرنسا من أمثال (مونتسكيو – فولتير – روسو) الذين تركوا كعلماء فلسفة ومنطق ومجتمع وسياسة أفكارا جريئة كشفت النقاب عن مخاطر الكهنوت الديني والاستبداد الملكي وفتحت عيون أحرار ناضلوا من اجل تحقيق العدالة والمساواة بين البشر ، فكانت عبارات أفكارهم تتردد قبل قيام الثورة على أفواه الثوار الفرنسيين كـ (روبسبير)، وعليه لايمكن تصور النخبة المثقفة خارج أسوار المجتمع السياسي، بل بالعكس كان المثقف يخيف رجال السياسة، ففي العهد النازي ذكر وزير الدعاية الألماني: (بأنه كلما سمع كلمة مثقف يضع يده على مسدسه))، وبالتالي فأهمية الدور الرمزي بمفهوم المفكر(بورديو) يكمن في تكريس شرعية أي سلطة أو نشر اوتقزيم منظومتها الإيديولوجية، فحسب المصلح الاجتماعي (الأفغاني) المثقف هو محرك المجتمع لأنه يتمتع بالروح النقدية والفلسفية.[1]

المبحث الرابع: الاتجاهات الرئيسة في التفكير النخبوي

ينطلق دارسو النخبة من منطلقات قد يكون بعضها السعي الى وضع نظرية شاملة عن المجتمع ، او على الاقل وصف تحليل الجماعات الحاكمة بأعتبارها مدخلا من المداخل العديدة لتفسير بناء القوة داخل المجتمع ، وسنتعرف الى هذه الاتجاهات ذات المنظور المختلف في تحليل الظاهرة النخبوية في سياق المجتمعات الانسانية .

1 – الاتجاه السيكولوجي عند باريتو : اعتبر (باريتو) النخبة قسما جديدا من اقسام علم الاجتماع ومجالاتة ، فحاول اقامته مستندا الى ابعاد سيكولوجية خالصة ، اذ استند في تفسيره للنظام الى علم النفس ، محددا النخبة السياسية بالقدرة الخاصة للافراد الذين يمارسون السلطة.[2] فقد قدم (باريتو) نظرية كاملة للنخبة انطلاقا من افكاره الاساسية حول طبيعة الانسان وبيئته وطبيعة المجتمع ، ويعد كتاب (العقل والمجتمع) بداية التنظير للنخبة وتوظيفها في الدراسات السياسية ، وقد تأثرت مقاربة (باريتو) لنظرية النخبة بعاملين هما:[3]

أ – خلفيته كعالم اجتماع شدد في دراسته على الطابع العلمي (الامبريقي) للبحث الاجتماعي وضرورة استخدام المنهج التجريبي .

ب – تصنيفه كعالم اجتماع غلبت عليه التحليلات النفسية ، اذ اولى اهمية لما سماه بالعواطف من جهه ، والرواسب والمشتقات من جهه اخرى ، بكونها عناصر فاعله في حفظ توازن النسق .

فجاءت نظرية النخبة السياسية ومقولاتها عند (باريتو) في سياق تحليله للنسق الاجتماعي بصورة عامة ، وبحثه عن العوامل التي تساهم في توازن هذا النسق ، وفي توظيفة للعواطف والرواسب والمشتقات لدى الافراد،[1] اذ اكتشف ان هناك تباينا بين الافراد في القدرات والمواهب والاستعدادات ومن هنا قسم المجتمع الى فئتين اعتمادا على المواهب والقدرات التي تميز البعض عن البعض الاخر ، وهذا التقسيم الاولي هو تقسيم اجتماعي لايختص بالنشاط السياسي فقط بل يشمل كل مجالات النشاط الانساني ، وهو تقسيم يقوم على اساس طبيعي ويشكل ظاهرة اجتماعية قديمة قدم وجود المجتمعات البشرية لانها تعكس واقع التباين بين البشر .[2]

يرى (باريتو) ان ممارسة القلة للقوة عامل دائم في اي نظام اجتماعي ، وانه هناك على الدوام اقلية تستحوذ على المراكز الرئيسية في المجتمع ، والنخبة قد تكون اجتماعية بمعناها العريض ، وقد تشمل على الطبقة الحاكمة .

تحديد (باريتو) للنخبة ينصرف الى كافة مجالات الفعل والنشاط الانساني ، وفي سياق ذلك تكون النخبة هي تلك الطبقة من الناس التي حققت اعلى المؤشرات فيما يتعلق بأنشطتها المختلفة ، واستنادا الى هذا المفهوم قسم (باريتو) النخبة الى قسمين :[3]

1- النخبة الحاكمة ، وهي تلك التي تتكون من اولئك الذين يقومون بدور هام في الحكومة .

2- النخبة غير الحاكمة ، وهم اولئك الذين لانتطوي انشطتهم على اهمية للحكومة او السياسة .

غير ان (باريتو) سرعان مايتجاهل هذا التحديد على اساس انه لايتفق مع غايات البحث السوسيولوجي ، فضلا عن انه قد لايحدث في الواقع ، فهناك عوامل مثل المولد ، والثروة ، والفساد تمنح الامتيازات لافراد اقل مهاره للحصول على المراكز القيادية وبصفة خاصة في مجالات الانشطة الاقل فنية مثل السياسة .[4]

ينظر (باريتو) الى التاريخ – تاريخ اي مجتمع – كتاريخ للعلاقات بين النخبة واللانخبة في الوقت نفسه التكوين السيكولوجي للنخبة ، ويعتقد ان معظم الانشطة البشرية غير منطقية ، وان الناس يحاولون اضفاء طابع منطقي على انشطتهم البشرية لتبرير المجموعة الاولى من الرواسب وهي – اي المجموعة الاولى من الرواسب – تلك التي تعكس غريزة التكامل ، وهي الرغبة او الضرورة في جمع الافكار وربط بعضها ببعض من خلال التصور والتخيل وتشمل هذه الفئة الفنون والايديولوجيات والمناورات والتحالفات السياسية . اما المجموعة الثانية التي يحاول الناس تبريرها منطقيا فهي تعكس غريزة استمرار التجمعات ، وتشير الى الرغبة والميل نحو الاستقرار والنظام العام .وتعبر عن نفسها سياسيا في امور مثل التماسك والانتظام والتضامن والملكية والاسرة ، ان تباين توزيع هذه الرواسب (الاولى والثانية) ذو اهمية كبيرة في المجتمع ،فالافراد الذين يمتلكون نفوذا او سيطرة فهم افراد القوة والاستقرار والتكامل (الاسود) ويندرجون في الفئة الاولى ، اما الافراد الذين يتسمون بالذكاء والدهاء (الثعالب في لغة ميكافلي) او اهم رجال الفئة الثانية ، والتوازن بين صفات (الاسد والثعلب) كما كان يسعى اليه (باريتو) هو النموذج المثالي ولكنه نادر الحدوث .[1]

ان التغيير الذي يطرأ على الرواسب وبقية صفات النخبة سيؤدي بالمحصلة الى ماسماه (باريتو) (دورة النخبة) اذ يرى ان التغيير الذي يطرأ على الصفوة هو نتيجة لتغيير طرأ على الخصائص السيكولوجية لاعضائها اذ تفقد النخبة الرواسب التي تمكنها من الحصول على القوة مقابل رواسب الفئات الجماهيرية تتنامى بأتجاه بلورة قوة تمكنها من استخدام وسائل توصلها الى تغيير النخبة لتحل محلها .[2]

2 –الاتجاه التنظيمي عند موسكا وميشيلز : يذهب هذا الاتجاه الى ان النخبة تمتلك القوة لقدراتها التنظيمية والدقة في تقدير مصادر القوة في المجتمع ، وهذا الضبط الذي تمارسه النخبة يعتمد على كونها قلة متماسكة تشكل جبهه قوية قادرة على تحدي القوى المعارضة التي تواجهها ، بيد ان رواد هذا التوجه يتفقون في كون جماعة معينة تحتكر القوة والنفوذ في المجتمع ، ويختلفون حول الاسس والعوامل التي تمكنها من احكام قبضتها على مراكز القوة ، وتأكيد حضورها الفاعل في المجتمع .[3] من ابرز رواد هذا الاتجاه (موسكا) و (ميشيلز) ، اذ رأى (موسكا) ان كل مجتمع ينقسم الى طبقتين اساسيتيين هما : طبقة حاكمة وطبقة محكومة ، واساس قوة الطبقة الحاكمة وتميزها هو تصاعد المصالح والجماعات معتبرا ان مفهوم الطبقة السياسية وسيلة لتفسير التاريخ الذي هو تاريخ النخب او الطبقات السياسية الحاكمة التي توجد في كل المجتمعات التي تتميز بانها اقلية من حيث العدد ، ولكنها اكثر تنظيما وتحكما في القوة السياسية والقرار السياسي .[1]

بعباره اخرى،تكمن قوة الطبقة الحاكمة في كونها اكثر استعدادا للتنظيم في الجماعات الكبيرة ، فقنوات الاتصال وانسياب المعلومات الداخلية اكثر سهولة ويسر من داخل الجماعة الصغيرة منها في الجماعات الكبيرة ، ونتيجة لذلك يصبح بمقدور هذه الجماعة تشكيل وصياغة السياسات بسرعة وتبدو اكثر تماسكا في التعبير عن سياساتها ، وتعطي الانطباع الكامل بالتماسك والتضامن في تصرفاتها العامة ، فالاغلبية غير المنظمة لاتعدو ان تكون مجرد تجمع لافراد

يفتقرون لهدف مشترك او نسق مقبول لتنسيق السياسات والمعلومات ، ومن ثم تكون قوة الاقلية كما وصفها (موسكا) بقوله : (ان قوة اية اقلية لاتقاوم بمواجهة كل فرد على حده من الاغلبية حيث يقف كل فرد من الاغلبية وحيدا امام الاقلية المنظمة)[2] ورغم تمسكه في ان كل مجتمع تسوده او تحكمه طبقة حاكمه ، فليس معنى هذا عدم وجود فروقات جوهرية بين النظم السياسية ، فقد تختلف النظم السياسية من ناحيتين رئيسيتين وهما: اتجاه تدفق السلطة، ومصدر التجنيد للطبقة الحاكمة ، فالسلطة السياسية في اي نسق سياسي ، اما تتدفق من اسفل (المبدأ الاوتوقراطي) ، او من اعلى (المبدأ الليبرالي)، ففي النظم الاوتوقراطية يعين المسؤولين ويمنحون السلطة من قبل المحكومين ، وعادة مايتم ذلك بأسلوب الانتخابات ، والاوتوقراطية والليبرالية نمطان مثاليان لنظم السلطة وينبغي ان يتوافق اي مجتمع بدرجة تقل او تكثر اليهما ، وكثير من النظم قد تكون مزيجا من هذين النظامين .[3]

تجنيد الطبقة الحاكمة اما ان يكون ديمقراطيا (عندما يكون الافراد المجندين من الطبقة المحكومة) ، وقد يكون ارستقراطيا وذلك عندما (يتم تجنيد افراد الطبقة الحاكمة من نفس افراد الطبقة الحاكمة السائده) ، فمجتمع يسوده الاتجاه الارستقراطي سوف ينتهي الى فقدان قنوات الاتصال بأحتياجات ومصالح المجتمع ، اما الاخر المعارض (الديمقراطي) يشير منطقيا الى موقف ثوري ، وبصفة عامة هو اكثر اعتدالا لانه يسمح بعملية التغلغل التدريجي للطبقة الحاكمة من قبل افراد الطبقة الدنيا ، وقد يفسر ايضا كقوة محافظة تسمح بتحديد الطبقة الحاكمة وتحقيق مزيد من الاقتراب والاتصال بأحتياجات ومصالح وامال المحكومين ، ومن خلال الطريق الديمقراطي يتم تجنيد العناصر الاكثر قدرة وكفاءة ، وهذا يحول دون تدهور نوعية ومستوى القيادة .[1]

وفي فترة (موسكا) نفسها ، ومن تقاليد فكرية مختلفة ، جات اطروحة (ميشيلز) في نظرية النخبة ، اذ اهتم بخصائص تشكيل النخبة في المنظمات ذات البنيات المركبة ، ورأى ان التمييز بين النخبة وغيرها داخل المنظمة لايتم من خلال الخصائص الشخصية ، وانما من خلال الموقع الذي يحتله الشخص او الجماعة داخل المنظمة ، والقوة تستطيع ان يمارسها خلال ذلك الموضع[2] فأذا كان (باريتو) تحدث عن حكم النخبة ، و (موسكا) عن الطبقة الحاكمة ، فان (ميشيلز) تحدث عن (الاوليغارشية) اي حكم الاقلية ، واذا كان هذا المصطلح قديما يعود الى (افلاطون وارسطو) ، الا ان (ميشيلز) قام بقراءة معاصرة للمفهوم اعتمادا على واقع نظام الديمقراطية الحديثة ، وما يجمعه مع سابقه هو القول انه حتى مع وجود نظام ديمقراطي فان هناك قلة منظمة تتركز في يدها مقاليد الامور وهذا الاستنتاج اعتبره (ميشيلز) بمثابة القانون السوسيولوجي وسماه (القانون الحديدي للاوليغارشية).[3]

ويرى (ميشيلز) ان سيطرة النخبة يرجع الى مقتضيات التنظيم ويرى ان الحكم الديمقراطي ماهو الا حكم اقلية رغم وجود الاحزاب السياسية وعمليات الاقتراع والانتخاب والمجالس التمثيلية ، فهذه الاليات ماهي الا وسائل لايصال النخبة الى الحكم ،[4] الفكره المركزية لهذا الاتجاه تتمحور حول الحقيقة التي تقول ان سيطرة النخبة تعتمد على التنظيم رغم ان القدرة على التنظيم لاتتضمن السلطة ولكن بنية اي مجتمع منظم تولدّ نخبة ، ويرى وفقا لقانونه (القانون الحديدي للاوليغارشية) ان اي تنظيم ومنه الدوله تصبح فيه النخبه ضرورة لنجاحه واستمراره على البقاء وطبيعة هذا التنظيم هي التي تسمح بأعطاء السلطة الامتيازات للنخبة ،[5] ولخص النظرية بمقولة: (ان كل من يجد تنظيما سوف يعثر على الاوليغارشية بالضروره).[6]

وتبرز اهمية المعيار التنظيمي اذ كلما اتجه البناء الى التعقيد كلما تزايدت الاعتمادية على قادته وعلى جهازه البيروقراطي الذي يمتلك خبره فنية وادارية مهمة.[1]

وفي بناء الدولة يسيطر اعضاء النخبة على كل وسائل الاتصال وعلى الاموال والميزانية العامة وعلى وسائل الامن والدفاع وغيرها من امكانيات الدولة وهذه تمكنهم من تعزيز نفوذهم

وتقوية شوكتهم ومع ذلك فان انصار هذا التيار يهتمون بالعناصر السيكولوجية للنخبة خاصة سمات القياده العليا في النخبة التي تحاول عكس هذه الصفات على البناء التنظيمي للنخبة والمجتمع .[2]

3 – الاتجاه الاداري / الاقتصادي عند بيرنهام : كانت دراسات (موسكا وباريتو وميشيلز) عن النخبة بمنزلة البديل للنظرية الماركسية عن الطبقة الحاكمة ، فالماركسيون يرفضون نظرية النخبة كأيديولوجية برجوازية ، الا ان ذلك لم يحل دون ظهور محاولات للجمع بين الموقعين ، واساس هذه المحاولات ان كلتا النظريتين تكمل كل منهما الاخرى ، وانه يجب الجمع بينهم بطريقة مفيدة.[3]

وتعد محاولات (بيرنهام) ابرز المحاولات تلك وذلك في كتابه (الثوره الاداريه) والذي ظهر في العام (1941) وفحوى نظريته : ان النظام الرأسمالي في حالة انهيار وسيحل محله مجتمع مسيطر عليه اقتصاديا وسياسيا من قبل النخبة الادارية ، كما تأثر (بيرنهام) بالنظرية الماركسية في فهم الاسس التي تستند اليها النخبة وتفسيرها فتحكّمها في وسائل الانتاج هو الذي يمنحها مكانه السيطره في اي مجتمع ، ويتضح ذلك في قوله :(اذا اردنا ان نحدد الطبقة الحاكمة، علينا ان نبحث عن الطبقة التي تحصل على اعلى الدخول).[4]

وعلى الرغم من الصراع القائم بين منظري الماركسية ومفكري النخبة فان (بيرنهام) حاول التوفيق بين النظريتين ، بالتمسك بما تطرحه نظرية النخبة من تحليل واقعي للمجتمع السياسي ، اذ طرح في كتابه (الثورة الادارية) عدة افكار بخصوص انهيار النظام الرأسمالي ودور النخبة فيه ، فالنظام الرأسمالي سينهار ليحل محله نظام تحكمه سياسيا واقتصاديا (نخبة المدراء) ، وقد توصل (بيرنهام) الى هذه النتيجة من عدة افتراضات مشتقة من نظرية النخبة .[5]

ان التدهور الذي يعرفه النظام الرأسمالي من وجهه نظر (بيرنهام) لايعود الى كونه مهددا من طرف الطبقة العمالية ، كما تذهب الماركسية التي تتنبأ بثورة البروليتاريا ضد الرأسمالية ، بل لان الرأسماليين المالكين لوسائل الانتاج اخذوا ينفصلون شيئا فشيئا عن العملية الانتاجية واخذ يظهر نموذج جديد من الانتاج مع نمط جديد من المجتمعات هو (المجتمع الاداري) الذي يقوده (المدراء) الذين يشكلون نخبه حاكمة في المجتمع ، بمعنى اخر ، ان نمو المجتمعات الصناعية يؤدي الى انتقالها من نظام طبقي يعتمد ملكية وسائل الانتاج ويتميز بهرمية اجتماعية تقوم على وراثة الممتلكات الى مجتمعات قائمة على الجدارة والانجاز ،[1] كما تضمنت نظريته تحليلا لدور المدراء موضحا انهم سيشكلون نخبة حاكمة مميزا بين فئتين من المدراء : الاولى/ تشمل العلماء والمتخصصين في التكنلوجيا ومديري عملية الانتاج والقائمين على تنظيمها ، اما الثانية/ فتضم المدراء بالمعنى الدقيق للكلمة الذين يشغلون قمة الاوضاع الادارية ، اذ يؤكد انهم قد اكتسبوا ماهو اكثر من القوة الاقتصادية ، التي تعد من الناحية الرسمية في حوزة الملاك الرأسماليين للصناعة ، ومن ثم فأنهم يكتسبون قوة تشكيل البناء الاجتماعي ككل . وقد دعم (بيرنهام) نظريته بمحاولة الكشف عن الايديولوجيا الفردية للرأسمالية قد تلاشت لتحل محلها ايديولوجيا ادارية .[2] والجدير بالذكر ان العالم اليوم ونتيجة للتطورات التي يشهدها على كل الاصعدة وخاصة بروز ظاهرة العولمة نجد ان هناك نخبة عالمية اخذه بالبروز والتبلور ، وهي ذات جذور وبنية اقتصادية مالية بدأت بنشر الياتها ووسائلها لاستكشاف الفرص الرأسمالية ومحاولة ان تأخذ لها مكانه مميزه على الصعيد العالمي ولاتنفك هذه الفئه على بذل الجهد من اجل تعزيز مكانة سلطتها العالمية وخاصة من خلال المؤسسات الاقتصادية والمالية والدولية .[3]

4 – الاتجاه المؤسسي عند رايت ميلز : يشارك (ميلز) (بيرنهام) الاعتقاد بان مكانه النخبة الحاكمة وتكوينها لايمكن ان يتقرر في سياق العوامل السيكولوجية ، ولكن يجب ان تتناول في اطار الهيكل الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع ، اذ يرى (ميلز) ان مراكز القوة لاتتقيد بأفراد او

رجال عظماء ، ولكن ترتبط بأدوار معينه ، ففي الوقت الذي يتمسك فيه (بيرنهام) بان القوة تنجم عن احتكار اساليب وادوات الانتاج، يراها (ميلز) (القوة) من منظور اوسع واشمل لصيقة بمجموعة من المؤسسات التي تشمل العسكرية منها والتنفيذية السياسية والمؤسسات الكبيرة .[1]

وقد استدل (ميلز) على افكاره من خلال تحليل البنية التنظيمية ونظام الحكم في الولايات المتحدة ، اذ تتبع (ميلز) تطور بنية القوة السياسية في المجتمع الامريكي منذ اندلاع الثورة الامريكية حتى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية ، فأتضح له ان رجال الصناعة كانوا يقبضون على الجانب الاكبر من مصادر ومواقع القوة السياسية في المجتمع الامريكي ونتيجة تفاقم الازمة الاقتصادية ، والشروع في سياسة اقتصادية جديدة سنها الرئيس الامريكي (روزفلت) تداعى النفوذ السياسي المباشر لاصحاب القوة من الاثرياء ، ولم يعد اصحاب الملايين ورجال الصناعة يتقلدون مناصب عامة ذات شأن .[2]

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية تغيرت موازين القوة السياسية في المجتمع الامريكي ومن ثم انتعش الاثرياء ذوو القوة من جديد واستعادوا مكانتهم وتأكدت وحدتهم ، وبعد نهاية الحرب وبداية مرحلة الحرب الباردة ومتطلباتها الجديدة ظهرت نخبة قوة تتمثل في اولئك الذين يحتلون المراكز القيادية في التكوينات المؤسسية السياسية وغير السياسية ، ويضطلعون بصياغة السياسات الاستراتيجية العامة ، ويشكلون في مجملهم كيانا سياسيا موحدا اصطلح علية بالمركب العسكري – الصناعي .[3]

ومؤدى هذا كله ، ان قوام القوة السياسية في المجتمع الامريكي – وفق تحليلات ميلز – تتكون من نخبة قوة نسقية تتألف من ذوي الثراء العريض ، الذين يسيطرون على عالم الشركات الصناعية من ناحية ، وفئة العسكريين الذين يشكلون عنصرا ضاغطا على رجال السياسة والاقتصاد وفي الحياة الامريكية من ناحية اخرى ، فضلا عن الهيئه الحاكمة التي تتولى مسؤولية القرارات التنفيذية وهولاء جميعا وان كانوا يستمدون قوتهم من مصادر متنوعة عديدة ، فان تنوع المصادر وتعددها لايعني ان هناك توزيعا او اقتساما للقوة السياسية في المجتمع الامريكي ، ولايعني كذلك ان ثمة نخبا متعددة ، بل كل مايعنيه هو وجود نخبة قوة نسقية واحدة متماسكة ، متعددة الاسس والمصادر ، ولكنها مترابطة البنيان ، ومرجع ذلك ان اعضاء هذه النخبة يستمدون قوتهم من المؤسسات والهيئات الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي يسيطرون عليها ، كما ان ثمة نوعا من المصالح المتبادلة بينهم وهم متشابهون الى حد كبير من حيث مستواهم التعليمي ومعتقدهم الديني واصلهم الاجتماعي وانتمائهم الطبقي .[1]

الخاتمة

وفي ختام بحثنا الموسوم بـ (نظرية النخبه في الفكر السياسي الغربي المعاصر) توصلنا إلى النتائج التالية :

1- يرجع اتخاذ النخبه وحدة للتحليل السياسي ونظرية للتفسير ، الى محاولات منظري النخبه معارضة نظرية الطبقة ، وتقديم بديل منهجي وتفسيري يحل محلها . فقد حاول (باريتو وموسكا) وهما اول من تناول نظرية النخبه بصورة منهجية ،ان يحولا مفهوم الطبقة الماركسي القائم على علاقات الانتاج الاقتصادية الى مدخل سياسي يقسم المجتمع الى حاكمين ومحكومين ، وقد كان هذا التحويل ممكنا بسبب فشل (ماركس) في ان يحدد بصورة منظمة الاطار العام الذي يصبح فيه التجانس الاقتصادي للطبقة الرأسمالية مترجما الى هيمنه او سيطرة سياسية على الطبقة الحاكمة ، اذ ينطلق تبني مفهوم النخبه في تفسير الظاهرة الاجتماعية من تصور لحركة التاريخ ، يرى ان التغييرات الكبرى تحدث بفضل العباقرة او الاقليات النشطة، وهذا تصور لحركة التاريخ ينطلق من التعارض بين النخبه والجماهير ، فالجماهير من هذا المنظور لم تؤدي اي دور خلاق في التاريخ ، كما انها من الناحية البنيوية لن تتمكن يوما من التأثير في حركة التاريخ ، وهكذا ارتبطت نظرية

النخبه بهذين الايطاليين (باريتو وموسكا)، ثم انظم اليهما (ميشيلز) حيث وضع الثلاثة الاطار العام للتحليل النخبوي .

2- تخضع النخب بشكل عام إلى قوانين التبدل والتغيير حسب المتغيرات داخل البيئة الاجتماعية العامة التي تتواجد فيها وتختلف هذه النخب حسب طبيعة الدور الذي تمارسه وطبيعتها التكوينية فتظهر هنالك نخب اجتماعية تهتم وتعمل في إطار البنى الاجتماعية وهنالك الاقتصادية وكذلك الثقافية ، وتعد النخب السياسية هي النخبة المسيطرة والمتحكمة بشكل كبير نسبيا في حركة النخب الأخرى والجماهير عموما بسبب سيطرتها على النظام السياسي الذي تمثل قمة الهرم فيه عادة .

3- على عكس النظرية التعددية التي صاغها بعض علماء السياسة الأمريكيين لتوصيف النظام السياسي الأمريكي على أساس توزع القوة فيه بين إطراف متعددة في إطار تفاعل سلمي ، فان نظرية (نخبة القوة) التي صاغها عالم الاجتماع الأمريكي (رايت ميلز) تفند دعاوي هذه النظرية ليس ذلك فقط ولكنها تقوم نظرية بديلة مبناها إن القوة – بالمعنى السياسي للكلمة – تحتكرها في النظام السياسي الأمريكي إطراف ثلاثة رئيسة وهم نخبة رجال الإعمال والحكومة والجيش وانه رغم الخلافات والاختلافات التي يمكن إن تحدث بينها ، فان ثمة مصلحة مشتركة تدفعها إلى العمل من اجل الحفاظ على النظام السياسي والدفاع عنه ، وثمة قدرة على التفاهم حول ضرورة التوافق حول صيغة موحدة تضمن لها الاستمرار في الوصاية على جمهور الخاضعين لها.

4- تتوزع نظرية دراسة النخبه على اربعة اتجاهات تبعا لركائز القوة ، الاول تنظيمي ويقف على رأس هذا الاتجاه كل من (موسكا وميشيلز) اللذان ارجعا قوة النخبه الى قدراتها التنظيمية الفائقة ، والثاني نفسي ، ورائده (باريتو) ويرى ان افراد النخبه متفوقون على بقية الناس في السمات النفسية والذكاء العقلي ، والثالث اقتصادي ومن اهم رواده(بيرنهام) الذي اكد بان من يسيطر على وسائل الانتاج او يديرها هو من له الغلبه ، اما الرابع مؤسسي ومن ابرز رواده (ميلز) الذي اكد بان القوة تكمن في وجود منظمات رئيسية في المجتمع تتدرج في المكانه ، ومن يجلسون على رأسها او يتولون مناصب عليا فيها هم (نخبة القوة).

Research Summary

Ass.prof. Abeer seham mahdi

Theory of the elite in contemporary Western political thought

The phenomenon of the elite is one of the most important subjects of political science scholars. This phenomenon is the focus of the activities of the political group. Despite the divergent theories regarding the interpretation of this phenomenon and its origin, there is an agreement to link this phenomenon to the distribution of power within human society.

After the word "elite" was used in the seventeenth century to describe goods of a certain superiority extended to use later to refer to the social groups superior military units or private upper classes of nobility.

And that if they agree that the society is divided into a ruling minority and a majority governed, but they differed on the foundations and factors that enable the minority to tighten its grip on power centers.